اجتهادات
ضعفُ القوة

العلاقة بين القوة والضعف مُعقدة تتأثر بظروفٍ متغيرة تحول دون انتظامها فى نمطٍ واحد. ومثلما تُحّول المقاومة الفلسطينية ضعفها العسكرى إلى قوة صمودٍ فى مواجهة العدوان الهمجى، تبدو القوةُ الصهيونية المستندة على كل ما فى ترسانات الأسلحة الحديثة ضعيفةً أمام صمود المقاومين وإيمانهم بقضية عادلة, فيُحاول أصحابها التعويض بقصفٍ همجى غير مسبوق.

الأسلحة لا تقاتل فى الميدان. تحتاج إلى مُقاتلين يستخدمونها لتحقيق أهداف مُحدَّدة. ولدى الصهاينة عدد هائل من الضباط والجنود، وهم مُدرَّبون ومُجهزون ومزوَّدون بكل ما يحتاجونه وأكثر منه. ولكن العبرة ليست بالعدد والعُدة فقط.

سعيهم الجنونى لغسل عار الهزيمة المُذِلة فى هجوم 7 أكتوبر يدفعهم لمواصلة القتل والتدمير بلا عقل أو تفكير, ولا قدرة بالتالى على معالجة العوامل التى تؤدى لإضعاف قوتهم العسكرية المهولة المدعومة من الغرب, وفى مقدمتها عاملان جديدان، وثالثُ معروف. العامل الجديد الأول هو الافتقار إلى

بنك أهداف مُحدَّدة. فالقصف الهمجى عشوائى تختلط فيه رغبةُ جنونية فى الانتقام مع أملٍ غامضٍ فى العثور على بعض الأهداف عن طريق المصادفة، مثل أسر أحد قادة كتائب القسام الكبار أو بعضهم، أو الوصول إلى أيٍ من أسراهم.

والعامل الثانى هو احتدام الخلافات السياسية، وازديادها منذ بدء العدوان. خلافات داخل الحكومة، ومثلها بين أعضاء مجلس الحرب الثلاثة الفاشلين فى إخفاء نزاعاتهم حين يعقدون مؤتمراتٍ صحفية مُشتركة. وتظاهرات مستمرة تنَظمها عائلات أسراهم، ومعارضون لا يقدرون على تأجيل توقهم لإقالة نيتانياهو إلى ما بعد إنهاء العدوان. ارتباكُ سياسى مواز للتخبط العسكرى.

أما العامل الثالث الذى لا يُعد جديدًا فهو إحجامُ قواتهم عن الالتحام مع مقاتلى المقاومة. فهم لا يتحركون إلا بعد قصفٍ تمهيدى عنيف جوى ومدفعى، وتحت غطاء جوى، ويحتمون بدباباتهم ومدرعاتهم. ولهذا مازالت قوات المشاة هى الأقل انخراطًا فى القتال. ولا صلة لهذا الجُبن بأحد فنون الحرب التى تناولها المفكر الصينى هون تزو فى كتابه المشهور «فن الحرب»، وهو إخضاع العدو بدون مواجهة. فما قصده كان بعيدًا كل البُعد عن تجنب المواجهة بسبب الجُبن والخوف.